الفصل الثاني

الجود والكرم عند العرب قبل الإسلام

ويشتمل على المباحث الآتية :

المبحث الأول ـ معنى الجود والكرم لغة واصطلاحاً .

المبحث الثاني ـ مكانته عند العرب قبل الإسلام .

المبحث الثالث ـ شواهد ودلالات الجود والكرم قبل الإسلام .

المبحث الرابع ـ حاتم الطائي .

المبحث الخامس ـ كعب بن مامة الأيادي .

المبحث السادس ـ هرم بن سنان المري .

المبحث السابع ـ عبد الله بن جدعان .

المبحث الثامن ـ أوس بن حارثة الطائي .

المبحث التاسع ـ السموءل .

المبحث العاشر ـ زيد الخيل الطائي .

المبحث الأول

معنى الجود والكرم لغة واصطلاحا : إن لهاتين الكلمتين مفاهيم كثيرة حسب ما أشارت إلى ذلك معاجم اللغة، استطعت أن أحدد كلا من المفهومين في اللغة والاصطلاح :

الجود : في اللغة جاد الشيء جُودة وجَوْدة أي صار جيداً، أجاد أتى بالجيد من القول أو الفعل .

الجود: اصطلاحا هو الجيد نقيض الرديء على فعل .

الكرم: في اللغة هو الكثير الخير الجواد الجامع لأنواع الخير وهو اسم جامع لكل ما يحمد

فالله عز وجل كريم حميد الفعال رب العرش العظيم .

الكرم : اصطلاحا، نقيض اللؤم يكون في الرجل نفسه والمعطي الذي لا ينفذ عطاؤه [1].

---

(١) لسان العرب ـ للعلامة ابن منظور ـ معجم لغوي المجلد الثالث ص ٣٤٧ .

المبحث الثاني

مكانته عند العرب قبل الإسلام

لقد تميز واشتهر العرب منذ القدم بكرمهم وترحيبهم بالضيف والاحتفاء بذلك فلم تكن عندهم خصلة تفوق خصلة الكرم وإغاثة البائس الفقير[1] وقد اعتبر الإنسان العربي الكرم أحد مظاهر السيادة إذ كان العرب يتباهون بكثرة الضيوف وكان من عاداتهم المشهودة أنهم كانوا يوقدون النار في الليالي الباردة لكي يتمكن الغرباء والمارون من الوصول والاهتداء إليهم والنـزول ضيوفا عندهم، وكانوا يوقدون النار في الأماكن المرتفعة أشهراً لجلب الضيوف، وكان من أفعال العرب أنهم يجتذبون الضيف بنباح الكلاب وإذا حدث أن ضل أحد من الغرباء الطريق ولم ير نارا[نبح كما تنبح الكلاب فتنبح الكلاب على نباحه فيتمكن بذلك من الوصول إلى مكان النـزول وقد كانت الكلاب تكافأ على ذلك بنصيب من اللحوم التي تنحر وتقدم للضيف[2].

لذا فإن هذه الفضائل تعتبر من السمات الأساسية التي يمتاز العرب بها قبل الإسلام وأنها شملت جميع المجالات وخاصة الشعر، وحتى كثرة الرماد كانت تدل أن أهل البيت تأتيهم ضيوف كثيرة .

البدوي في الصحراء رغم تنقله المستمر وضنك عيشه في الصحراء لكنه كان يتغنى بالكرم وحسن الضيافة لأن نفوسهم ارتاحت على السماحة وانطبعت على حب القرى فكان العربي ينحر الجزور للضيف وهو أحوج ما يكون لحمل أثقاله وقضاء حاجاته لابل

(١) فجر الإسلام ـ أحمد أمين ـ بيروت ١٩٦٩ ص ١٠,

(٢) تاريخ العرب في الجاهلية وعصر الدعوة الإسلامية ـ رشيد الجميلي.

هو مصدر رزقه وهكذا ترى أن المجتمع العربي أينما يكون أبناؤه فقد جبلت نفوسهم وطباعهم على حب الضيافة والسخاء والإيثار وعزة النفس والشهامة فترى أبناء العروبة في المغرب العربي فيهم حب الضيافة في المشرق العربي وفي الأندلس كذلك وإن الأمثلة والشواهد التاريخية في كتب الأدب العربي وتاريخهم كثيرة .

وترى أن سمة الجود والكرم بدأت مع العرب العاربة أمثال (جرهم، طسم، جديس، العماليق، عاد الأولى، عاد الآخرة، عبيل، جاشم، عبد ضخم، أميم، وبار)وحتى العرب المستعربة تعلمت اللغة أو نطقت بالعربية أخذت أيضا صفة الكرم والجود.

وإليك بعض الأمثلة التاريخية التي تخص العرب العاربة البائدة في ما ذكره[1]ابن إسحاق قال إن عاداً أصابهم قحط تتابع عليهم بتكذيبهم نبي الله هوداً، فلما أصابهم قالوا: جهزوا منكم وفداً إلى مكَّة يستسقون لكم، فبعثوا قيل بن عيرو لقيم بن هَزَّال ومَرْثَد بن سعد وكان مسلما يكتم إسلامه . وجُلْهَمة بن الخيبريّ، خال معاوية بن بكر، ولقمان بن عاد بن فلان بن عاد الأكبر في سبعين رجلاً من قومهم فلمَّا قدموا مكَّة نزلوا على معاوية بن بكر بظاهر مكَّة خارجاً عن الحرم، فأكرمهم، وكانوا أخواله وصهره لأن لقيم بن هزال كان تزوّج هزيله بنت بكر أخت معاوية فأولدها أولاداً كانوا عند خالهم معاوية بمكة، وهم : عبيد وعامر وعمرو و عمير بنو لُقَيم ،وهم عاد الآخرة التي بقيت بعد عاد الأولى، فلمَّا نزلوا على معاوية أقاموا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنّيهم الجرادتان، وهما قينتان لمعاوية، فلمّا رأى معاوية طول مقامهم وتركهم ما أرسلوا إليه شق عليه ذلك وقال هلك أخوالي واستحيا أن يأمر الوفد بالخروج إلى ما بعثوا له، فذكر ذلك للجرادتَين فقالتا: قلْ شعراً تغنّيهم به لا يدرون من قائله لعلّهم يتحرّكون، فقال معاوية:

ألا يـا قَـيـلُ وَيـحـكَ قُـمْ فَـهَـيْـنِـم[2] لـعـلَّ الـلـه يـصـبـحُـنـا غَـمَـامَـا

فـيـسـقـي أرض عـادٍ إنَّ عـاداً قـد أمـسـوا لا يُـبـيـنـون الـكـلامـا.

(١) الكامل في التاريخ ـ لابن الأثير ـ ج١ ص٨٥ .

(٢) فهينم أو الهينمة : الكلام الخفي .

فلما غنّتهم الجرادتان ذلك الشعر وسمعه القوم قال بعضهم لبعض: ا قوم بعثكم قومكم يتغوثون بكم من البلاء الذي نزل بهم فأبطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم.

عندما[1] أوحى الله عز وجل لنبيه إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام أن يأتي مكة وليس بها يومئذ، نبت فجاء إبراهيم بإسماعيل وأمه هاجر فوضعهما بمكة بموضع زمزم، فلما مضى نادته هاجر: يا إبراهيم من أمرك أن تتركنا، بأرض ليس فيها زرع ولا ضرع ولا ماء ولا زاد ولا أنيس؟ قال: ربي امرني، قالت فانه لن يضيعنا. فلما ولىَّ قال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [إبراهيم: ٣٧] فلما ظمىء إسماعيل جعل يدحض الأرض برجله، فانطلقت هاجر حتى صعدت الصفا لتنظر هل ترى شيئاً فلم ترَ شيئاً، فانحدرت إلى الوادي فسعت حتى أتت المَرْوَةَ فاستشرفت هل ترى شيئاً فلم تر شيئاً، ففعلت ذلك سبع مرات فذلك أصل السعي. ثمَّ جاءت إلى إسماعيل وهو يدحض الأرض بقدمَيْه وقد نبعت العينُ وهي زمزم، فجعلت تفحص الأرض بيدها عن الماء وكلَّما اجتمع أخذته وجعلته في سقائها، قال: فقال النبي ﷺ: «يرحمها الله! لو تركتها لكانت عيناً سائحة».

وكانت جُرْهُم، وهي إحدى القبائل العربية بوادٍ قريب من مكة ولزمت الطير الوادي حين رأت الماء فجاؤوا إلى هاجر فقالوا: لو شئت لكنا معك فآنسناك والماء ماؤك. قالت: نعم فكانوا معها حتى شب إسماعيل[2] وماتت هاجر فتزوج إسماعيل امرأة من جرهم فتعلم العربية منهم هو وأولاده فهم العرب المتعربة.

---

(١) الكامل في التاريخ ـ لابن الأثير ج١ ص١٠٣.

(٢) الكامل في التاريخ ـ لابن الأثير ج١ ص١٠٤.

واستأذن إبراهيم سارة أن يأتي هاجر، فأذنت له وشرطت عليه ألا ينـزل، فقدم وقد ماتت هاجر، فذهب إلى بيت إسماعيل، فقال لامرأته : أين صاحبك ؟ قالت: ليس هاهنا، ذهب يتصيد. وكان إسماعيل يخرج من الحرم يتصيد ثم يرجع. قال إبراهيم :هل عندك ضيافة ؟ قالت : ليس عندي ضيافة وما عندي أحد، فقال إبراهيم : إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولي له فليغير عتبة بابه. وعاد إبراهيم، وجاء إسماعيل فوجد ريح أبيه فقال لامرأته : هل عندك أحد ؟ قالت :جاءني شيخ كذا وكذا . كالمستخفة بشأنه قال : فما قال لك ؟ قالت : قال : أقرئي زوجك السلام وقولي له فليغير عتبة بابه، فطلقها وتزوج أخرى .

فلبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث ثم استأذن سارة أن يزور إسماعيل، فأذنت له وشرطت عليه ألا ينـزل فجاء إبراهيم حتى انتهى إلى باب إسماعيل فقال لامرأته: أين صاحبك ؟ قالت : ذهب يتصيد وهو يجيء الآن إن شاء الله، فانزل يرحمك الله . فقال لها : فعندك ضيافة ؟ قالت : نعم. قال : فهل عندك خبز أو تمر أو شعير أو بر ؟ قال : فجاءت باللبن واللحم، فدعا لهما بالبركة، ولوجاءت يومئذ بخبز أو تمر أو بر أو شعير لكانت أكثر أرض الله من ذلك فقالت: انزل حتى أغسل رأسك فلم ينـزل . فجاءت بالإناء فوضعته عند شقه الأيمن، فوضع أثر قدمه عليه فبقى أثره فيه، فغسلت شق رأسه الأيمن ثم حولت المقام إلى شقه الأيسر ففعلت به كذلك. فقال لها: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام عني وقولي له: قد استقامت عتبة بابك.

فلمَّا جاء إسماعيل وجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاءك أحد ؟ فقالت نعم، شيخ أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحا فقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وكذا، وغسلت رأسه، وهذا موضع قدمه، وهو يقرئك السلام ويقول : قد استقامت عتبة بابك قال : ذلك إبراهيم .

وسبب توصية إبراهيم عليه السلام لإسماعيل بأنه قد استقامت عتبة بابك راجع ذلك إلى حسن الضيافة التي قامت بها زوجة إسماعيل لإبراهيم عليه السلام .

لما أصر قوم لوط[1] على الكفر والمعاصي من قطع السبيل وركوب الفواحش سأل لوط ربه النصرة عليهم لما تطاول عليه آمرهم وتماديهم في غيهم . فبعث الله لما أراد هلاكهم ونصرة نبيه ؛ جبرائيل وملكين آخرين معه أحدهما ميكائيل والآخر إسرا فيل . فأقبلوا فيما ذكر مشاة في صورة رجال وأمرهم أن يبدأوا بإبراهيم وسارة ويبشروه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب فلما نزلوا على إبراهيم وكان الضيف أبطأ عنه خمسة عشر يوما حتى شق ذلك عليه وكان يضيف من نزل به وقد وسع الله عليه الرزق. فرح بهم ورأى ضيوفا لم ير مثلهم حسنا وجمالا فقال: لا يخدم هؤلاء القوم أحد إلا أنا بيدي فخرج إلى أهله فجاء بعجل سمين قد حنذه أي أنضجه فقربه إليهم . فأمسكوا أيديهم عنه ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٠-٧٣].

يفهم مما ذكر آنفاً أن إبراهيم الخليل عليه السلام كان من المعتاد نزول الضيوف عليه. فانقطع عنه الضيوف خمسة عشر يوما ولما كان الله عز وجل يعرف ما في قلب الخليل عليه السلام من حب الضيف والضيافة وإكراما له على هذه السجية جعل ضيوفه من الملائكة لا بل من ارفع درجات الملائكة وتطييباً لنفسه الكريمة في حب القرى.

وفي الأخبار: أن إبراهيم الخليل عليه السلام جاءه ضيف وعرف أن هذا الضيف مجوسي فقال له إبراهيم عليه السلام أسلم حتى أضيفك وأساعدك.

فقال الضيف لا أسلم ولا أريد الضيافة فخرج الضيف من عند إبراهيم وذهب.

وبعد قليل نودي على إبراهيم في السر يا إبراهيم إننا نرزق ضيفك المجوسي منذ سبعين سنة وهو على كفره وأنت لم تضيفه على ساعة من اليوم.

---

(١) الكامل في التاريخ ـ لابن الأثير ـ ج١ ص١١٨ .

فذهب إبراهيم وراءه مسرعاً حتى لحق بالضيف، وقال له ارجع ولك حق الضيافة وتبقى على دينك.

فقال له الضيف لا أرجع معك حتى تقول لماذا تقول هذا ولم تقله منذ البداية ؟

فقال له إبراهيم نوديت في السر أن يا إبراهيم نحن نرزق ضيفك منذ سبعين سنة وهو على كفره فلماذا لا تضيفه ساعة من يومك . عندها قال الضيف الآن أرجع معك وأسلم.

هكذا الباري سبحانه وتعالى كريم على عباده حتى الكافرين يجعل أعتاب منازلهم من ذهب وسبحانه وتعالى لا يأسف على ذلك [1].

---

(١) الرسالة القشيرية: موضوع الفتوة.

المبحث الثالث

شواهد ودلالات الجود والكرم قبل الإسلام

لقد كان المجتمع العربي قبل الإسلام يزخر بالعديد من رجالات العرب الأجواد الكرماء، وكان الكثير من الشعراء يتغنون بقصائدهم عن الجود والكرم .

وإن الشعر الذي قيل كان كثيراً لا يمكن حصره كون هذا العصر يعتبر عصر الشعر والجود والكرم لكثرة الشعراء وكثرة الممدوحين لكرمهم أو لشجاعتهم . والشجاع عادة يكون كريماً وحظي الشعراء بمكانةٍ عاليةٍ من قبل أصحاب الجود والسخاء ومن إشعار الكرم . على سبيل المثال لا الحصر قول الشاعر النابغة بن جعدة[1]:

عوى في سواد الليل بعد إعتاقه ... لينبح كلب أو ليفزع قوم

فجاوبه متسمع الصوت للقرى ... له عند اتيان الملين مطعم

يكاد إذا ما ابصر الضيف مقبلاً ... يكلمه من حبه وهو أعجم .

ولكن تبقى الشواخص الماثلة والتي لاتنسى بكرمها وجودها في حقبة ما قبل الإسلام وإلى الأبد وفي مقدمتهم: حاتم الطائي، كعب بن مامة الأيادي، ،هرم بن سنان المرىء و السموءل في وفائه . والذين جاءوا بعدهم مثل . عبد الله بن جدعان، وعلقمه بن علاثة، عبد الله بن حبيب العنبري، وقيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، زيد الخيل، وكذلك، أوس بن حارثه بن لام الطائي، إن هؤلاء الرجال قد عرفوا بكرمهم

---

(١) ابن جعدة : هو قيس بن عبد الله بن عدس ابن ربيعة الجعدي العامري، وسُمِّي بالنابغة لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله . وكان ممن هجر الأوثان ونهى عن الخمر . وفد على النبي ﷺ، فأسلم، توفي سنة ٥٠ للهجرة . وسبب نبوغه بالشعر ظفر قومه بني جعدة في أحد غزواتهم . فاستخفه الطرب والفرح فنطق بالشعر . كما ذكر في المستطرف لشهاب الدين الأبشيهي ص٩١ .

وسخائهم الذي لاحدود له، وقد كانوا مضرب الأمثال للأجيال اللاحقة لهم والحكايات التي تناقلتها الألسن عن مضارب هؤلاء الذين يشهد التاريخ لهم بما وصفوا في ذلك وصار التيمن بهم عرفاً .

وفي مقدمتهم حاتم الطائي الذي حاز على الشهرة واستحوذ على المثل وكذلك . كعب بن مامة الأيادي، الذي جاد بنفسه، والسموءل الذي ضحى بولده كرماً ووفاء .

المبحث الرابع

حاتم الطائي[1] وهو حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي. وطئ بن ادد بن يشجب بن عريب بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان . وأمه عتبة بنت عفيف وكانت في الكرم غاية لا تدرك . عاش في منطقة الجزيرة العربية وأطراف العراق غرب الفرات .

وهو الذي قال[2] لغلامه يسار : إذا اشتد البرد أوقد النار في بقاع من الأرض لكي يراها من أضلَّ الطريق ليلاً وكان جائعاً وفي ذلك يقول :

أوقد فإن الليل ليلٌ قر والريح يا موقد ريح صر

عسى يرى نارك من يمر إن جلبت ضيفاً فأنت حر .

ولم يكن حاتم الطائي يمسك من ماله شيئاً سوى سلاحه وفرسه . ثم جاد بفرسه في سنه شديدة القحط .

وكان بداية أمر حاتم في الجود والكرم، أنه لما شب جعل يأخذ طعامه فإن وجد من يأكله معه أكله .

وإن لم يجد أحداً يأكل معه طرح طعامه جانباً، فلما انتبه والده لذلك. ورآه كيف يتصرف بطعامه قال له الحق بالإبل فخرج إليها وأعطاه أبوه جارية وفرسا وفلوها .

ورواية تقول إن أباه مات وهو صغير وهذه القصة مع جده سعد .

فلما أتى حاتم الإبل فأخذ يبتغي الناس فلا يجدهم ويأتي الطريق فلا يرى عليه أحداً فيما هو على هذه الحال، إذ رأى ركباً من الناس في الطريق فجاء إليهم فقالوا له: يا فتى هل من ضيافة . قال : تسألوني عن الضيافة وأنتم تشاهدون الإبل وكان الذي يمر بهم عبيد بن الأبرص، بشر بن أبي خازم والنابغة الذبياني ،وكانوا يريدون الذهاب إلى

---

(١) العقد الفريد ـ لابن عبد ربه ج١ ص ٢٨٧ ـ سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب. نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس للعباس بن علي المكي ج ١ ص ٤٢٩ .

(٢) العقد الفريد ـ لابن عبد ربه ج ١ ص ٢٨٧ .

النعمان بن المنذر فذبح لهم ثلاثة من الإبل، فقال له عبيد : إنما كنا نريد اللبن وأنت تكلفت وذبحت لنا ثلاثة وكانت تكفينا واحدة .

قال حاتم ولكني رأيت وجوها مختلفة وألواناً متفرقة فظننت أن البلدان غير واحد . فأردت أن يذكر كل واحد منكم ما رأى .

وإذا جاؤوا إلى أقوامهم ذكروا ذلك وقالوا فيه أشعاراً امتدحوه بها وذكروا فضله . فقال حاتم أردت أن أحسن إليكم فصار لكم الفضل علي، وإني أعاهد الله أن أضرب عراقيب الإبل عن آخرها أو تقوموا . فتقتسموها ففعلوا ذلك، وأخذ كل واحد منهم، تسعةً وثلاثين بعيراً ومضوا في سفرهم إلى النعمان بن المنذر . وأن أبا حاتم أزعجه لما سمع ما فعل حاتم . فقال له أبوه يا حاتم أين الإبل. فقال له حاتم : يا أبت طوقتك بها طوق الحمامة . مجداً وكرماً حيث لا يزال الرجل يحمل بيت شعر أثنى به علينا عوضا عن ابلك .

فلما سمع أبوه ذلك قال له : أهكذا تفعل بإبلي ؟ قال : نعم ؛ فقال له أبوه : والله لا أساكنك أبداً فخرج أبوه، بأهله وترك حاتما ومعه جاريه وفرس وفلوه .

فبينما حاتم يوماً نائم إذ انتبه وحوله مائتي بعير تجول وتخطم بعضها بعضاً فساقها إلى قومه فقالوا له : يا حاتم ابق مالك لنفسك فقد رزقت مالاً ولا تعودن إلى ما كنت فيه من الإسراف . فقال لهم إنها نهب بينكم فانتهت بينهم .

ثم جاء ركب من بني أسد ومن قيس يريدون النعمان بن المنذر، فلقوا حاتماً فقالوا له : إنا تركنا قومنا يثنون عليك خيراً وقد أرسلوا إليك رسالة، قال لهم: ما هي ؟ فأنشده الأسديون شعراً لعبيد بن الأبرص وأنشده الليثيون شعراً للنابغة الذبياني ثم قالوا له. إنا نستحي أن نسألك شيئاً وإن لنا حاجة. قال: وما هي، قالوا: صاحب لنا راجل، فقال حاتم .خذوا فرسي هذه فاحملوا عليها صاحبكم . فأخذوها وربطت الجارية فلوها بثيابها، فأفلت فاتبعته الجارية لترده. فقال حاتم: ما لحقكم من شيء فهو لكم فأخذوا الفرس والفلو والجارية .

وشاهد قوم حاتماً يوماً وهو يضرب ولده لأنه رآه يضرب كلبة كانت تدل على أضيافه وهو يقول :

أقول لابني وقد سطت يديه ... بكلبة لا يزال يجلدها

أوصيك خيراً بها فإن لها ... عندي يداً لا أزال أحمدها

تدل ضيفي عليَّ في غلس الليل ... إذا النار نام موقدها .

وتتحدث ماوية[1] زوجه حاتم الطائي عن كرمه وجوده المأثور وقالت : أصابتنا سنة اقشعرت لها الأرض وأغير أفق السماء، وراحت الإبل حدباً حدابير، وضنت المراضع على أولادها فما تبض بقطرة، وحلقت ألسنة المال وأيقنا بالهلاك فالله آنا لفي ليلة صنبر بعيدة ما بين الطرفين إذا تضاغى صبيتنا جوعاً عبد الله، وعدي، وسفانه فقام حاتم إلى الصبيين وقمت أنا إلى الصبية . وأقبل يعللني بالحديث .

فعرفت ما يريد فتناومت . فلما تهورت النجوم إذا شيء رفع كسر البيت ثم عاد فقال حاتم من هذا؟ قالت جارتك فلانه آتيتك من عند صبية يتعاوون عواء الذئاب. فما وجدت معولا إلا عليك فقال: اعجليهم فقد أشبعك الله وإياهم.

فأقبلت تحمل اثنين ويمشي بجانبها أربعة كأنها نعامة حولها رئالها فقام حاتم إلى فرسه فوجأ لبته بمدية فخر ثم كشطه عن جلده ودفع المدية إلى المرأة، فقال لها شأنك فاجتمعنا على اللحم نشوي ونأكل ثم جعل يمشي في الحي يأتيهم بيتاً بيتاً، ويقول هبوا أيها القوم عليكم بالنار فاجتمعوا والتفع في ثوبه وجلس في ناحية ينظر إلينا فوالله إن ذاق منه فرعه وإنه أحوج إليه منا أصبحنا وما على ظهر الأرض من الفرس إلا عظم وحافر فأنشأ حاتم يقول :

مهلاً نوار أقلي اللوم والعذلا ... ولا تقولي لشيء فات ما فعلا

ولا تقولي لمال كنت مهلكه ... مهلا وإن كنت أعطي الإنس والخيلا

---

(١) العقد الفريد ـ لابن عبد ربه ج١ ص٢٨٩ .

يـرى الـبـخـيـل سـبـيـل الـمـال واحـدة إن الـجـواد يـرى فـي مـالـه سـبـلا

ومر[1] حاتم في إحدى أسفاره على قبيلة عنزه وفيهم أسير. فاستغاث الأسير بحاتم حيث لم يحضره فكاكه فاشتراه حاتم من العنزيين وأطلقه وأقام مكانه في القيد حتى أدى فداءه.

زواج حاتم من ماوية[2]:

كانت ماوية امرأة من بنات ملوك اليمن ذات جمال وكمال وحسب ونسب فآلت أن لا تتزوج إلا من كريم وإن خطبها لئيم لتجدعن أنفه فتجنبها الناس حتى انتدب إليها زيد الخيل وحاتم بن عبد الله وأوس بن حارثة الطائيون فارتحلوا إليها.

فلما دخلوا إليها قالت مرحباً بكم ما كنتم زواراً، فما الذي جاء بكم ؟ قالوا جئنا زواراً خطاباً قالت أكفاء كرام ثم أنزلتهم وفرقت بينهم وبالغت في إكرامهم وزادت فيها.

فلما كان في اليوم الثاني بعثت بعض جواريها متنكرة في زي سائلة تتعرض لهم فدفع إليها زيد وأوس شطر ما حمل إلى كل واحد منهما فلما صارت إلى رحل حاتم دفع إليها جميع ما كان من نفقته وحمل إليها جميع ما حمل إليه.

فلما جاء اليوم الثالث دخلوا عليها فقالت ليصف كل واحد منكم نفسه في شعره فابتدر زيد الخيل وأنشد يقول :

هـلا سـألـت بـنـي ذبـيـان مـا حـسـبـي عـنـد الـطـعـان إذا مـا أضـمـرت الـحـدق
وجـاءت الـخـيـل مـحـمـراً بـوادرهـا الـمـاء يـسـفـح مـن لـبـاتـهـا الـعـلـق
والـجـار يـعـلـم أنـي لـسـت خـاذلـه إن نـاب دهـر لـعـظـم الـجـار مـعـتـرق
هـذا الـثـنـاء فـإن تـرضـى فـراضـيـه أو تـسـخـطـي فـإلـى مـن تـعـطـف الـعـنـق

وقال أوس بن حارثة: إنك لتعلمين أنا أكرم أحساباً وأشهر أفعالاً من أن نصف أنفسنا لك وأنشأ يقول :

---

(١) العقد الفريد ـ لابن عبد ربه ج١ ص٢٨٩ .

(٢) قصص العرب ـ لمحمد أبي الفضل إبراهيم ـ ج٢ ص٨١ .

فإن تنكحي ماوية الخير حاتماً ... فما مثله فينا ولا في الأعاجم

فتى لا يزال الدهر أكبر همه ... فكاك أسير أو معونة غارم

وان تنكحي زيداً ففارس قومه ... إذا الحرب قامت يوماً أقعدت كل قائم

وإن تنكحيني تنكحي غير فاجر ... ولا جارف جرف العشيرة هادم

ولا متقي يوماً إذا الحرب شمرت ... بأنفسها نسي كفعل ألا سائم

وإن طارق الأضياف لاذ برحله ... وجدت ابن سعدى للقرى غير عاتم

فأي فتى أهدى لك الله فاقبلي ... فإنا كرام من رؤوس أكارم .

وأنشد حاتم يقول :

أماوى قد طال التجنب والهجر ... وقد عذرتني في طلابكم عذر

أماوى إن المال غاد ورائح ... ويبقى من المال الأحاديث والذكر

أماوى آني لا أقول لسائل ... إذا جاء يوماً حل في مالنا النزر

أماوى ما يغني الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت وضاق بها الصدر

أماوى أن المال مال بذلته ... فأوله شكر وآخره ذكر .

فقالت لهم ماوية :

أما أنت يا زيد فقد وترت العرب وبقاؤك مع الحرة قليل، وأما أنت يا أوس فرجل ذو ضرائر والدخول عليهن شديد، وأما أنت يا حاتم فمرضي الأخلاق محمود الشيم كريم النفس وقد زوجتك نفسي .

فلما تزوج حاتم[1] ماوية وهي أكمل النساء حسناً ومرت الأيام زمناً حيث كان لحاتم ابن عم يقال له مالك وقال لماويه: إن حاتماً يتلف ما عنده من الأموال، وإن لم يوجد عنده شيء يكفيك وأولادك، فإذا مات حاتم ترك أولاده عالة على قومه .

---

(١) قصص العرب ـ لمحمد أبي الفضل إبراهيم ج١ ص ١٦٣ .

طلقي حاتم وأنا أتزوجك فأنا أكثر مالاً من حاتم وأحفظ لك أولادك، فقالت ماوية: صدقت إنه متلف لما يملك، وهو كذلك فألح عليها حتى طلقت حاتماً .

وكان من عادة النساء أو بعضهن يطلقن الرجال، وكان من علامة الطلاق أنهن يحولن أبواب بيوتهن فإذا كان الباب نحو المشرق جعلته نحو المغرب، وإذا كان الباب نحو الشام جعلته نحو اليمن فإذا جاء الرجل ولاحظ ذلك علم أن المرأة قد طلقته .

فجاء حاتم فوجد ماوية قد حولت باب البيت فقال لابنه: يا عدي ؟ ما ترى أمك ما عدا عليها. قال لا أدري غير أنها غيرت باب الخباء، وكأنه لم يفهم لما قال والده، فدعاه حاتم وذهبا إلى بطن الوادي.

وجاء قوم فنزلوا على باب بيت حاتم كما كانوا ينـزلون فتوافد حوالي خمسون رجلاً فضاقت بهم ماوية ذرعاً فقالت لجارتها: اذهبي إلى مالك وقولي له إن أضيافاً لحاتم قد نزلوا بنا وهم خمسون رجلاً فأرسل إلينا بناب تقرهم ولبن نغبقهم

وقالت لجاريتها: لاحظي جبينه وفمه فإن رد عليك بالمعروف فاقبلي منه وإن ضرب بيده على لحيته فارجعي ودعيه . فلما جاءت مالكاً وجدته قد توسد وطبا من لبن فأيقظته وأبلغته الرسالة وقالت له إنما هي الليلة حتى يعرف الناس مكانتك فأدخل يده في رأسه وضرب على لحيته وقال لها : أقرئيها السلام وقولي لها لهذا أمرتك أن تطلقي حاتماً . فما عندي من كبيرة قد تركت العمل وما كنت لأنحر صفيه[1] غزيرة الشحم وما عندي لبن يكفي أضياف حاتم .

فرجعت الجارية فأخبرتها بما رأت منه وأعلمتها بمقالته، فقالت لها ويلك ائتني حاتماً فأخبرته . فقال لها حاتم: لبيك قريبا دعوت فقالت : إن ماويه تقرأ عليك السلام وتقول لك أن أضيافك قد نزلوا بنا الليلة فقال: نعم .

---

(١) الصفية: الناقة السمينة .

وأبى ثم قام إلى الإبل وأطلق اثنين من عقالهما ثم صاح بها حتى أتى الخباء فضرب عراقيبهما[1]، وذبحهما، فأخذت ماوية تصيح وتقول هذا الذي طلقتك فيه تترك عيالك وليس لهم شيء. وذكرت[2] طي.

عن عدي بن حاتم أن رجلاً يعرف بأبي الخيبري مر بقبر حاتم الطائي فنزل وجعل ينادي أبا عدي اقر أضيافك فقال جماعته له مهلا ما تكلم من رمة بالية، فقال: إن طيئاً يزعمون أنه لم ينزل به أحد إلا قراه. قال هذا إنما المستهزى فلما كان في السحر وثب أبو الخيبري يصيح: وراحلتاه فقال له أصحابه ما شأنك ؟ قال خرج والله حاتم بالسيف حتى عقر ناقتي وأنا انظر إليها .

فنظروا إلى راحلته فإذا هي لا تتحرك فقالوا والله قد أقراك حاتم . فنحروها وظلوا يأكلون من لحمها، ثم أردفوه وانطلقوا . فبينما هم في مسيرهم إذ طلع عليهم عدي بن حاتم ومعه جمل قد قرنه ببعيره فقال: إن حاتماً جاء في النوم فذكر لي قولك وإنه أقراك وأصحابك راحلتك وقال لي أبياتا رددها عليَّ حتى حفظتها :

أبا الخيبري وأنت امرؤ ... حسود العشيرة شتامها

فماذا أردت إلى رمة ... بداوية صخب هامها

أتبغي أذاها وإعسارها ... وحولك غوث وأنعامها

وإنا لنطعم أضيافنا ... من الكوم بالسيف نعتامها

وأمرني بدفع راحلة عوضا عن راحلتك فخذها فأخذها .

ومن أخبار حاتم الطائي وكرمه :

خرج الحكم[3] بن أبي العاص ومعه عطر يريد الحيرة ـ وكان بالحيرة سوق يجتمع إليها الناس كل سنه، فمر في طريقه بحاتم بن عبد الله الطائي ؛ فسأله الجوار في أرض

---

(١) العرقوب من الدابة في رجلها بمنزلة الركبة في يدها .

(٢) العقد الفريد ـ ج١ ص ٢٨٩ .

(٣) قصص العرب. لمحمد أبي الفضل إبراهيم ج ٣ ص ١٠٠.

طيئ حتى يصير إلى الحيرة. ثم أمر حاتم بجزور فنحرت وطبخت، ثم دعاهم إلى الطعام فأكلوا، ولما فرغوا من الطعام طيبهم الحكم من طيبه .

وكان النعمان بن المنذر قد جعل لبني لام ربع الطريق طعمة لهم؛ لأنَّ بنت سعد بن حارثة بن لام كانت عنده .

ومر سعد بن حارثة بحاتم ومعه قومه من بنى لام، فوضع حاتم سفرته وقال: أطعموا حياكم الله! فقال: من هؤلاء الذين معك يا حاتم؟ قال : جيراني، قال له سعد: فأنت تجير علينا في بلادنا! قال له: أنا ابن عمكم وأحق من لم تخفروا ذمته . فقالوا: لست هناك! وأرادوا أن يفضحوه، ووثبوا إليه، وتناول سعد حاتما، فأهوى له حاتم بالسيف، فأطار أرنبه أنفه، ووقع الشر حتى تحاجزوا، ثم قالت بنو لام لحاتم : بيننا وبينك سوق الحيرة فنماجدك ؛ ثم وضعوا تسعه أفراس رهنا، ووضع حاتم فرسه رهنا عند رجل من كلب، حتى انتهوا إلى الحيرة .

وسمع بذلك إياس بن قبيصة الطائي ؛ فخاف أن يعينهم النعمان بن المنذر ويقويهم بماله وسلطانه للصهر الذي بينهم وبينه ؛ فجمع رهطه من بني حية، وقال : يابني حية ؛ إن هؤلاء القوم أرادوا أن يفضحوا ابن عمكم في مماجدته؛ فقال رجل منهم: عندي مائة ناقة سوداء، ومائة ناقة حمراء أدماء؛ وقام آخر فقال : عندي عشرة حصن؛ على كل حصان منها فارس مدجج لايرى منه إلا عيناه . وقال حسان بن جبلة الخير: قد علمتم أن أبي قد مات وترك خيراً كثيراً، فعلى كل خمر ولحم أو طعام ما أقاموا في سوق الحيرة؛ ثم قام إياس فقال : عليّ مثل جميع ما أعطيتم كلكم ـ وحاتم لا يعلم بشيء مما فعلوا .

وذهب حاتم إلى ابن عمه وهم بن عمرو ـ وكان مصارماً له لا يكلمه ـ فقالت له امرأته: أي وهم هذا والله أبو سفانة ـ حاتم ـ قد طلع، فقال : مالنا وحاتم ! أثبتي النظر، فقالت هاهو . قال : ويحك ! هو لا يكلمني، فما جاء به إليَّ ؟ ثم نزل حتى سلم عليه، فرد السلامة والحياة، ثم قال : ماجاء بك يا حاتم؟ قال: خاطرت على حسبك وحسبي، قال: في الرحب والسعة، هذا مالي وعدته تسعمائة بعير، فخذها مائة مائة حتى تذهب الإبل أو تصيب ما تريد .

ثم إن إياس بن قبيصة قال لقومه : احملوني إلى الملك ـ وكان به نقرس ـ فحمل حتى أدخل عليه، فقال : أنعم صباحا، أبيت اللعن ! فقال النعمان : وحياك إلهك . أتمد أختانك بالمال والخيل، وجعلت بني ثعل في قعر الكنانة ! أظن أختانك أن يصنعوا بحاتم كما صنعوا بعامر بن جوين ولم يشعروا أن بني حية بالبلد ! فإن شئت والله ناجزناك حتى يسفح الوادي دماً، فليحضروا مجادهم غدا بمجمع العرب .

فعرف النعمان الغضب في وجهه وكلامه، فقال له : يا أحلمنا، لا تغضب فإني سأكفيك . وأرسل النعمان إلى سعد بن حارثة والى أصحابه . وقال : انظروا ابن عمكم حاتما فأرضوه، والله ما أنا بالذي أعطيكم مالي تبذرونه، وما أطيق بني حيه .

فخرج بنو لام إلى حاتم وقالوا له : اعرض عن هذا المجاد ندع أرش أنف ابن عمنا. قال: لا والله لا أفعل حتى تتركوا أفراسكم ويغلب مجادكم .

فتركوا أرش أنف صاحبهم وأفراسهم وقالوا : قبحها الله وأبعدها ! فعمد إليها حاتم فعقرها وأطعمها الناس .

ارحموا عزيزاً ذل[1]:

وجه رسول الله ﷺ إلى طيىء جيشاً من المسلمين ؛ يتقدمهم علي رضي الله عنه ففزع عدي ابن حاتم الطائي إلى الشام وكان من أشد الناس عداء لرسول الله، فصبح علي القوم واستاق إبلهم وخيلهم ونعمهم ورجالهم ونساءهم إلى رسول الله ﷺ .

فلما عرض عليه الأسرى نهضت من بين القوم سفانة بنت حاتم الطائي فقالت : يا محمد. هلك الوالد، وغاب الوافد فإن رأيت أن تخليْ عني ولا تشمت بي أحياء العرب فإن أبي كان سيد قومه يفك العاني ويقتل الجاني ويحفظ الجار ويحمي الذمار ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ؛ ويفشي السلام ويحمل الكلّ، ويعين على نوائب الدهر وما أتاه أحد في حاجة فرده خائباً ؛ أنا بنت حاتم الطائي . فقال النبي ﷺ يا جارية هذه صفات

(١) قصص العرب ـ لمحمد أبي الفضل إبراهيم وآخرون ج ٣ ص ١٨٠.

المؤمنين حقاً؛ ولو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه؛ خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق. ثم قال : (ارحموا عزيز قوم ذل) (وغنياً افتقر) (وعالماً ضاع بين جهال) وامتن عليها ﷺ، بقومها فأطلقهم تكريماً لها. فاستأذنته في الدعاء فأذن لها، وقال لأصحابه اسمعوا وعوا، فقالت : أصاب الله ببرك مواقعه، ولاجعل لك إلى لئيم حاجة، ولاسلب نعمه عن كريم قوم إلا جعلك سببا في ردها عليه . فلما أطلقها رجعت إلى أخيها عدي وهو بدومة الجندل . فقالت له يا أخي أئتِ هذا الرجل قبل أن تعلقك حبائله، فإني رأيت هديا ورأيا سيغلب أهل الغلبة ورأيت خصالاً تعجبني . رأيته يحب الفقير ويفك الأسير، ويرحم الصغير، ويعرف قدر الكبير، وما رأيت أجود ولا أكرم منه فإن يكن نبيا فللسابق فضله، وإن يكن ملكاً فلن تزال في عز ملكه . فقدم عدي إلى رسول الله ﷺ فأسلم وأسلمت سفانة .

قال العتبي[1] عن أبيه قال: أتى رجل إلى حاتم الطائي فقال: إنها وقعت بيني وبين قومي ديات فاحتملتها في مالي وأملي فعدمت مالي وكنت أملى فإن تحملها عني فرب هم فرجته وغم كفيته ودين قضيته وإن حال دون ذلك حائل لم أذمَّ يومك ولم أيأس من غدك.

فحملها عنه .

ومن شعر حاتم الطائي :

أعاذل إن المال غير مخلد ... وإنّ الغنى عارية فتزودي

فكم من جواد يفسد اليوم جوده ... وساوس قد ذكرته الفقر في غد

وكم ليم إبائي فما كف جودهم ... ملام ومن أيديهم خلقت يدي

وما أجود قوله:[2]

شربنا بكأس الفقر يوماً وبالغنى ... وما منهما إلا سقانا به الدهر

فما زادنا بغيا على ذي قرابة ... غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقر

---

(١) العقد الفريد ـ ج ١ ص ٢٥٥ .

(٢) نزهه الجليس ومنية الأديب الأنيس ـ للعباس بن علي الموسوي ـ ج ١ ص ٤٢٩ .

المبحث الخامس

كعب بن مامة الأيادي[1]:

وهو كعب بن مامة بن عمر بن ثعلبه الأيادي وكان أبوه ملك أياد الذي يضرب المثل بجوده .

ومن إيثاره :

خرج كعب بن مامة في قفل[2] معهم رجل من بني النمر بن قاسط، وكان ذلك في حر الصيف، فضلوا وشح ماؤهم فكانوا يتصافنون[3] الماء، وذلك أن يطرح في القعب[4] حصاه ثم يصب فيه الماء بقدر ما يغمر الحصاة، فيشرب كل واحد منهم قدر ما يشرب الآخر. ولما نزلوا للشرب ودار القعب بينهم حتى انتهى إلى كعب رأى الرجل النمري يحد النظر إليه، فآثره بمائه على نفسه وقال للساقي: اسق أخاك النمري، فشرب النمري نصيب كعب من الماء ذلك اليوم !

ثم نزلوا من الغد منزلهم الآخر، فتصافنوا بقيه مائهم، فنظر إليه كنظرة أمس، وقال كعب كقوله أمس، وارتحل القوم، وقالوا : يا كعب ارتحل، فلم تكن له قوة للنهوض، وكانوا قد قربوا من الماء، فقالوا له: رد يا كعب إنك وارد، فعجز عن الجواب ولما أيسوا منه خيموا عليه بثوب يمنعه من السبع أن يأكله وتركوه مكانه فمات ونجا رفيقه !

وفيه يقول حبيب الطائي الشاعر :

يجود بالنفس إن ضنَّ البخيل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

---

(١) العقد الفريد ـ لابن عبد ربه ج١ ص٢٠١ ، قصص العرب ج١ ص١٥٥ لمحمد أبي الفضل إبراهيم .

(٢) القفل : بفتح الفاء اسم جمع القافل أي راجع.

(٣) تصافنوا الماء : اقتسموه بالحصص .

(٤) القعب: القدح يروي الرجل .

وفيه يقول الشاعر حبيب الطائي :

كعب وحاتم اللذان تقسما خطط العلا من طارف وتليد

هذا الذي خلف السجاب ومات ذا في المجد ميتة خضرم صنديد

إلايكن فيها الشهيد فقومه لا يسمحون به بألف شهيد

المبحث السادس

هرم بن سنان المري[1]:

كان سنان أبو هرم سيد غطفان، وماتت أمه وهي حامل به، وقالت إذا أنا مت فشقوا بطني فإن سيد غطفان فيه. فلما ماتت شقوا بطنها فاستخرجوا منه سنانا.

وفي بني سنان يقول زهير :

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم ... طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم ... قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا

أما هرم بن سنان فهو صاحب زهير بن أبي سلمى الذي يقول فيه :

متى تلاقِ على علاته هرما ... تلق السماحة في خلق وفي خلق

وقال زهير في هرم بن سنان :

وأبيض فياض يداه غمامة ... على معتفيه ما تغب نوافله

تراه إذا ما جئته متهللا ... كأنك تعطيه الذي أنت سائله

أخو ثقة لا تتلف الخمر ماله ... ولكنه قد يتلف المال نائله

وقال فيهم أيضاً :

وفيهم مقامات حسان وجوههم ... وأندية ينتابها القول والفعل

على مكثريهم حق من يعتفيهم ... وعند المقلين السماحة والبذل

فما كان من خير أتوه فإنما ... توارثه آباء آبائهم قبل

وهل ينبت الخطي إلا وشيجه ... وتغرس إلا في منابتها النخل

---

(١) العقد الفريد ج١ ص٢٩١لابن عبد ربه .

ومن أخبار هرم بن سنان أنه آلى على نفسه أن لا يسلم عليه زهير بن أبي سلمى إلا أعطاه، فقل مال هرم وكان زهير يمر بالنادي وفيه هرم فيقول: أنعموا صباحاً ما خلا هرماً وخير القوم تركت[1].

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ج١ ص٢١٠.

المبحث السابع

عبد الله بن جدعان[1]

هو عبد الله بن جدعان من بني تميم لم أجد له أكثر من هذا التعريف وأعتقد أن صيته وكرمه المشهور أغنى الناس عن معرفة آبائه وأجدادهِ وذكرهم. وقد أسلم عام فتح مكة وهو من المؤلفة قلوبهم . ويقال أن عبد الله بن جدعان كان في ابتداء أمره صعلوكاً وكان شريراً يفتك ويقتل، وكان أبوه يعقل عنه، فضجر من ذلك وأراد قتله فخرج هارباً على وجهه، فوصل لجبل فوجد فيه شقاً فدخل فيه فوجد في صدره شيئاً كهيئة الثعبان، فدنا منه وقال : لعله يثب عليَّ فيقتلني وأستريح . فدنا منه فوجده مصنوعاً من ذهب وعيناه ياقوتتان ثم وجد في داخله بيتاً فيه جثث طوال بالية على أسرة الذهب والفضة وعند رؤوسهم لوح مكتوب فيه تاريخهم، وإذا هم رجال من جرهم، وفي وسط البيت كوم من الياقوت الأحمر، والزمرد، والذهب والفضة، واللؤلؤ فأخذ منه بقدر ما يحمل وعلم الشق وذهب إلى قومه فأغناهم ورجع فلم يدر مكان الشق . قال رسول اللهﷺ: «لقد كنت أستظل بجفنة عبد الله بن جدعان من الهجير» قالت عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله هل ينفعه ذلك شيئاً ؟ قال : لا لأنه لم يقل رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين[1].

وكان من أجواد العرب في الجاهلية من بني تميم وعندما كبر عبد الله بن جدعان أخذت بنو تميم على يده، ومنعوه أن يعطي شيئاً من ماله لكثرة ما أكرم وأعطى فشح

---

(١) المستطرف ص٤٨٢ ، ولم نقف على الحديث المذكور، والذي في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله ابن جدعان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه؟ قال : «لا لأنه لم يقل ربي اغفر لي خطيئتي يوم الدين» . رواه مسلم(٢١٤) .

ماله. فكان الرجل إذا أتاه يطلب منه قال : أدنُ مني، فإذا دنى لطمه. ثم قال اذهب فاطلب لطمتك أو ترضى فترضيه بنو تميم من ماله . وفيه يقول الشاعر:

والـذي إن أشـار نـحـوك لـطـمـا تـبـع الـلـطـم نـائـل وعـطـاء .

وقال أمية بن الصلت الثقفي يمدح عبد الله بن جدعان:

أأذكـر حـاجـتـي أم قـد كـفـانـي حـيـاؤك أن شـيـمـتـك الـحـيـاء

وعـلـمـك بـالأمـور وأنـت قـرم لـك الـحـب الـمـهـذب والـسـنـاء

كـريـم لا يـغـيـره صـبـاح عـن الـخـلـق الـسـنـي و لا مـسـاء

إذا ثـنـى الـمـرء عـلـيـك يـومـاً كـفـاه مـن تـعـرضـه الـثـنـاء

المبحث الثامن

أوس بن حارثة الطائي :

لم أقف له على ترجمة .

وهو الذي يقول فيه الشاعر :

إلـــى أوس بـــن حـــارثـــة بـــن لام ... لـيـقـضـي حـاجـتـي وقـد قـضـاهـا

فـمـا وطـىء الـثـرى مـثـل ابـن سـعـدى ... و لا لـبـس الـنـعـال ولا احـتـذاهـا .

المبحث التاسع

السموءل[1]:

وهو السموءل بن غريض بن عادياء . وهو شاعر جاهلي حكيم أشعر شعره لاميته التي مطلعها :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضهُ فكل رداء يرتديه جميل

ويضرب المثل في وفائه: لما أراد امرؤ القيس المضي الى قيصر ملك الروم أودع عند السموءل دروعاً وسلاحاً وأمتعة، تساوي جملة كثيرة فلما مات امرؤ القيس أرسل ملك كنده يطلب الدروع والأسلحة المودعة عند السموءل . فقال السموءل : لا أدفعها إلا لمستحقها، وأبى أن يدفع إليه منها شيئا، فعاوده وأبى، وقال لا أغدر بذمتي ولا أخون أمانتي ولا أترك الوفاء الواجب علي .

فقصده ذلك الملك من كنده بعسكره، فدخل السموءل في حصنه وامتنع به فحاصره ذلك الملك

وكان ولد السموءل خارج الحصن فظفر به الملك، وأخذه أسيرا ثم طاف به حول الحصن، وصاح

بالسموءل فاشرف عليه من أعلى الحصن فلما رآه، قال له: إن ولدك قد أسرته، وهو ذا معي، فان سلمت إليّ الدروع والسلاح رحلت عنك، وسلمت إليك ولدك، وإن امتنعت من ذلك ذبحت ولدك وأنت تنظر فاختر أيهما شئت .

فقال له السموءل : ما كنت لأخفر ذمامي[2] وأبطل وفائي فاصنع ما شئت فذبح

---

(١) قصص العرب ـ لمحمد أبو الفضل وشركاؤه ج١ ص١٥٦ .

(٢) أخفر الذمة : إذا لم يف بالعهد.

ولده وهو ينظر، ثم لما عجز عن الحصن رجع خائباً واحتسب السموءل ذبح ولده، وصبر محافظة على وفائه . فلما جاء الموسم وحضر ورثة امرئ القيس، سلم إليهم الدروع والسلاح، ورأى حفظ ذمامه، ورعاية وفائه احب إليه من حياة ولده وبقائه! وفي ذلك قال :

وفـيـت بـادرع الـكـنـدي انـي إذا مـا خـان أقـوام وفـيـت

وكان للسموءل حصن يسمى الأبلق الفرد وقد بناه أبوه بتيماء وفيه يقول السموءل :

لـنـا جـبـل يـحـتـلـه مـن نـجـيـره مـنـيـع يـرد الـطـرف وهـو كـلـيـل

هـو الأبـلـق الـفـرد الـذي شـاع ذكـره يـعـز عـلـى مـن رامـه ويـطـول

رسـا أصـلـه تـحـت الـثـرى وسـمـا بـه إلـى الـنـجـم فـرع لا يـنـلـه طـويـل

وتوفي السموءل سنة خمس وستين قبل الهجرة .

المبحث العاشر

زيد الخيل الطائي :

هو زيد بن مهلهل الطائي[1]، كان فارساً مغواراً مظفراً شجاعاً بعيد الصيت في الجاهلية، وكان شاعراً محسناً خطيباً لسناً كريماً أدرك الإسلام ووفد إلى النبي محمد ﷺ سنة تسع للهجرة وسر به وقرظه وسماه زيد الخير، وسمي في الجاهلية بزيد الخيل لكثرة خيله توفي سنة تسع للهجرة و الصحيح، أنه وفد على النبي ﷺ في السنة العاشرة للهجرة كما ذكره عمدة المؤرخين ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ حيث قدم وفد طي في هذه السنة (١٠) للهجرة وفيهم زيد الخيل وهو سيدهم فأسلموا وحسن إسلامهم وقال رسول الله ﷺ: «ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيته دون ما يقال فيه إلا ما كان من زيد الخيل فإنه لم يبلغ فيه كل ما فيه» ثم سماه زيد الخير وأقطع له فيداً وأرضين معها، فلما رجع أصابته الحمى بقرية من نجد فمات فيها .

ومن أخباره وجوده وكرمه وكذلك فروسيته[2] كما ذكر شيخ من بني نبهان قال: أصابت بني شيبان سنة ذهبت بالأموال فخرج رجل منهم بعياله حتى أنزلهم الحيرة فقال لهم كونوا قريبا من الملك يصبكم خيره حتى أرجع إليكم، وآلى أليَّة[3] ؛ لا يرجع حتى يكسبهم خيرا أو يموت.

فتزود زاداً ثم مشى يوما إلى الليل فإذا هو بِمُهر مقيد حول خباء فقال : هذا أول الغنيمة، وذهب يحله ويركبه فنودي : خل عنه واغتنم نفسك فتركه .

---

(١) الكامل في التاريخ ـ لابن الأثير ج٢ ص

(٢) قصص العرب ـ ج٢ ص ٢٨ .

(٣) آلى ألية : حلف يمينا.

ومضى سبعة أيام حتى انتهى إلى عطن[1] إبل مع تطفيل[2] الشمس، فإذا خباء عظيم وقبة من أدم فقال في نفسه ما لهذا الخباء بدُ من أهل ،وما لهذه القبة بد من رب، وما لهذا العطن بد من إبل. فنظر في الخباء فإذا شيخ كبير قد اختلفت ترقوتاه كأنه نسر .

قال فجلست خلفه، فلما وجبت الشمس[3] إذا فارس قد أقبل لم أرَ فارساً قط أعظم منه ولا أجسم منه، ومعه أسودان يمشيان جنبه وإذا مائة من الإبل مع فحلها فبرك الفحل، وبركت حوله ونزل الفارس وقال لأحد عبديه : احلب الفلانة[4] ثم اسق الشيخ فحلب في عس حتى ملأه ووضعه بين يدي الشيخ، وتنحى، فكرع منه الشيخ مرة أو مرتين ثم نزع[5] فثرت إليه فشربته فرجع إليه العبد فقال : يا مولاي أتى على آخره ففرح بذلك وقال احلب الفلانة، فحلبها ثم وضع العس بين يدي الشيخ، فكرع منه واحدة، ثم نزع، فثرت إليه فشربت نصفه، وكرهت أن أتي على أخره فأتاه، العبد فأخذه، وقال : لمولاه قد شرب فقال دعه .

ثم أمر بشاة فذبحت وشوى للشيخ منها : ثم أكل هو فأمهلت حتى ناموا وسمعت الغطيط[6] فثرت إلى الفحل فحللت عقاله وركبته، فاندفع بي وتبعته الإبل . فمشيت ليلتي حتى الصباح.

فلما أصبحت نظرت فلم أرَ أحداً فسللتها سلاً عنيفاً حتى تعالى النهار ثم التفت فإذا بشيء كأنه طائر فما زال يدنو حتى تبينته فإذا هو فارس على فرس، فإذا هو صاحبي بالأمس، فعقلت الفحل، ووقفت بينه وبين الإبل، فقال احلل عقال الفحل . فقلت: كلا والله لقد خلفت نسيات بالحيرة وآليت أليه لا أرجع حتى أفيدهن خيراً أو أموت، قال :

---

(١) العطن: مبرك الإبل .
(٢) تطفيل الشمس : ميلها للغروب .
(٣) وجبت الشمس : مالت للغروب.
(٤) الفلانة : اسم لناقة.
(٥) نزع : انتهى.
(٦) الغطيط : الشخير.

فإنك لميت حل عقاله لا أم لك فقلت ما هو إلا ما قلت لك فقال: إنك لمغرور انصب لي خطامه واجعل فيه خمس عجر[1] ففعلت فقال: أين تريد أن أضع سهمي ؟ فقلت: في هذا الموضع فكأنما وضعه في يده .ثم أقبل يرمي حتى أصاب الخمس بخمسة أسهم، فرددت نبلي وحططت قوسي ووقفت مستسلماً فدنا مني وأخذ السيف والقوس ثم قال: ارتدف[2] خلفي وعرف أنى الرجل الذي شربت اللبن عنده ؛ فقال : كيف ظنك بي ؟ قلت أحسن ظن. قال : وكيف ؟ قلت : لما لقيت من تعب ليلتك وقد أظفرك الله بي . فقال : أترانا كنا نهيجك وقد بت تنادم مهلهلاً[3] ! قلت : أزيد الخيل أنت ؟ قال : نعم، أنا زيد الخيل، فقلت : كن خير اخذ. فقال : ليس عليك بأس. ومضى إلى موضعه الذي كان فيه .

ثم قال : لو كانت هذه الإبل لي لسلمتها إليك، ولكنها لبنت مهلهل، فاقم على فإني على غارة .

فإقمت أياماً، ثم أغار على بني نمير فأصاب مائة بعير، فقال : هذه أحب إليك أم تلك ؟ قلت : هذه. قال : دونكها وبعث معي خفراء من ماء إلى ماء حتى وردوا الحيرة، فلقيني نبطي فقال : يا أعرابي أيسرك أن لك بإبلك بستاناً من هذه البساتين ؟ قلت : كيف ذاك ؟ قال : هذا قرب مخرج نبي يخرج فيملك هذه الأرض ويحول بين أربابها وبينها، حتى أن أحدهم ليبتاع البستان من هذه البساتين بثمن بعير .

قال : فاحتملت بأهلي حتى انتهيت إلى موضع، فبينما نحن على ماء لنا، جاءنا رسول الله ﷺ فأسلمنا، وما مضت أيام حتى اشتريت بثمن بعير من إبلي بستاناً بالحيرة.

---

(١) العجر : العقدة.

(٢) المرتدف : الراكب خلف الراكب.

(٣) مهلهلا : أبو زيد.